

السَّخَاءُ سَبِيلُ الْعَطَاءِ وَالكَرَمُ عَنَّا الْإِيمَانُ، وَالشُّحُّ طَرِيقُ الشَّقَاءِ وَالْبَخْلُ سَبِيلُ الْخُسْرَانِ

2026-08-07

الحمد لله الكريم الوهاب، الرحيم التَّوَّاب، واسع الفضل والإحسان، جزيل المنِّ والامتنان، جعل الإنفاقَ تجارةً لن تبور، ووعد المنفقين بالخلف والأجور، وحذّر من الشحِّ والبخل، وجعلهما من أسباب الخسران والفجور، فسبحانه من إله خلق الخلق فأغناهم وأفقرهم ابتلاءً وامتحاناً، وأمرهم بالإنفاق ووعدهم بالخلف والرضوان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً تُنجينا يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم. وأشهد أن سيّدنا ونبيّنا محمداً عبد الله ورسوله، وصفيّه من خلقه وخليّله، إمام الكرماء، وسيّد الأسخياء، الذي ما سُئل شيئاً فقال: لا، وكان أجودَ الناس، وأكرمَ الناس، وأرحمَ الناس بالفقراء والمساكين.

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ * ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنَامِلُهُ

تراه إذا ما جنته مُتَهَلِّلاً * كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

ولو لم يكن في كَفِّهِ غيرُ رُوحِهِ * لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيْ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ * فَلُجَّئُهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ

إخواني: إذا أردتم في القيامة بهجة الأنوار. ورغبتم في السلامة من هذه الدار. صلّوا على هذا النبيِّ المختار. تفوزوا بقُربِهِ في دار القرار. وارفعوا أصواتكم بها بقدر محبَّتكم فيه. فإنّها ترضي الله وترضيه. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيّدنا محمد المحمود. أسوة الفقراء في القناعة بالقوت المحدود، وقدوة الأغنياء في السَّخَاءِ والجُود، وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهدي سيّد الوجود. وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم إبتغاء رضوان الواحد المعبود، صلاة تبلِّغنا بها غاية المنى والمقصود. وننال ببركتها شفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم الموعود. ونُسقى بها من حوضه المورود. شربة لا نظماً بعدها أبداً. بفضلِكَ وكرمِكَ يا برّ يا ودود. **أَمَّا بَعْدُ:** فيا أيّها

المسلمون. لقد ختمنا في الأسابيع الماضية الحديث عن حقوق المال في الإسلام، وعن الزكاة ومصارفها، وعن الصدقة والإحسان، وبيننا أن المال ليس ملكاً مطلقاً للعبد، وإنما هو أمانة استخلفه الله فيها، فقال سبحانه في سورة النور: {وَعَاثُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ}، فالمال مال الله، والعبد مستخلف فيه، يُختَبَر: أي شكر أم يكفر؟ أي بذل أم يبخل؟ أيؤدي حق الله فيه أم يمنعه؟ قال تعالى في سورة التكاثر: {ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}، وقال سبحانه في سورة الحديد: {وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ}، أيها المسلمون. إن من أجل الأخلاق التي دعا إليها الإسلام خُلِقَ الكرم والسخاء، فهو خُلِقَ الأنبياء، وشعار الصالحين، وزينة المؤمنين، وسبب لمحبة الله ومحبة عباده. أخرج الترمذي، والبيهقي في شعب الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: ((السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، وإن البخل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، ولجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخل، وأدوى الداء البخل))، ولذلك أثنى الله على عباده المنفقين فقال في سورة آل عمران: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}، وجعل سبحانه الإنفاق علامة على صدق الإيمان فقال في سورة البقرة: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}، بل جعل سبحانه الإنفاق طريقاً إلى البر الكامل فقال غي سورة آل عمران: {لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ}، أيها المسلمون. تأملوا هذا الوعد العظيم الذي تهتز له القلوب المؤمنة. يقول ربنا جل جلاله في سورة البقرة: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ}، سبحان الله! الدرهم الواحد قد يصير سبعمائة، ثم يزيد الله فوق ذلك لمن شاء، لأنه سبحانه واسع عليم. أي تجارة هذه؟ وأي ربح هذا؟ وأي استثمار أعظم من استثمار يباركه رب العالمين؟ ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله: (يا ابن آدم، أنفق يُنْفَق عليك، ولا تُوك فيوكي عليك)، أيها المسلمون. ومن عجيب رحمة الله بعباده، أنه لم يجعل الصدقة إنقاصاً للمال، بل جعلها سبباً لزيادته وبركته. قال تعالى في سورة سبأ: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ

وَهُوَ خَيْرُ الرِّزْقَيْنِ}، وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((ما نقص مالٌ من صدقة))، والله لا ينطق رسول الله ﷺ عن الهوى. فكم من متصدقٍ بارك الله له في ماله! وكم من كريمٍ فتح الله له أبواب الرزق! وكم من منفقٍ جعل الله له من كل همٍّ فرجًا، ومن كل ضيقٍ مخرجًا! فالصدقة ليست خسارة، وإنما هي تجارة مع الله. ولذلك كان بعض السلف إذا جاءه فقير قال: (مرحبًا بمن يحمل زادي إلى الآخرة بغير أجره)، ومن أبلغ ما يحرك القلوب ويبعثها على السخاء أن نتأمل في حقيقة المال الذي نتنافس عليه. فالمال الذي بين أيدينا اليوم سيغادرنا غدًا، أو نغادره نحن، ولن يبقى للعبد منه إلا ما قدمه بين يدي الله. وقد قال النبي ﷺ كما في الصحيحين: ((يقول ابن آدم: مالي، مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟))، فهذا هو المال الباقي حقًا: ما أنفقته ابتغاء وجه الله، أمّا ما ادّخرته فسيصير يومًا إلى الورثة، ويبقى عليك حسابه إن قصّرت في حقه. أيها المسلمون. إذا أردنا أن نتعلّم الكرم، وأن نعرف حقيقة السخاء، فلننظر إلى سيّد الكرماء، وإمام الأسخياء، محمدٍ صلى الله عليه وسلم، الذي ربّاه ربه على مكارم الأخلاق، وجعل الجود شيمَةً له لا تفارقه. لقد وصفه سيّدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الحديث المتفق عليه فقال: ((كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة))، وكان ﷺ يعطي عطاءً من لا يخشى الفقر، لأنّ قلبه معلقٌ بوعد الله، لا بما في يده. روى الإمام مسلم عن أنس رضي الله عنه: ((ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا إلا أعطاه))، فالكرم ليس كثرة المال، وإنما هو غنى النفس، وحسن الظن بالله، والثقة بأنّ ما عند الله خيرٌ وأبقى. ولذلك قال ﷺ في المتفق عليه: ((الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفَقَةُ وَالسُّفْلَى السَّائِلَةُ))، فاليد العليا هي المعطية، واليد السفلى هي الآخذة، والإسلام يحب للمؤمن أن يكون مفتاحًا للخير، مغلقًا للشر. فيا من وسّع الله عليك، ما الذي يمنعك أن يكون لك وقفٌ، أو مسجدٌ، أو مصحفٌ، أو بئرٌ، أو كفالةٌ يتيم، أو إعانةٌ طالب علم، أو صدقةٌ جارية تبقى بعد موتك؟ ومن أروع صور الإيثار، قال الله تعالى مادحًا الأنصار كما في سورة الحشر:

{وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، هذه الآية ليست مدحاً للإنفاق فقط، بل مدح لمن قدّم أخاه على نفسه، وهو محتاج. ولذلك قال العلماء: (ليس الكريم من أعطى من فضل ماله، وإنما الكريم الكامل من أثر غيره مع حاجته)، أيها المسلمون. بعد أن رغبنا القرآن في الكرم، حذرنا من ضده، وهو الشح. والشح أخطر من مجرد البخل. قال الإمام القرطبي رحمه الله: (الشح هو البخل مع شدة الحرص والطمع فيما في أيدي الناس)، وقال الإمام النووي رحمه الله: (الشح هو الحرص على ما ليس عنده، والبخل منع ما عنده)، ولهذا قال الله تعالى في سورة التغابن: { وَمَنْ يُوقِ شَحْنَنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }، أي: من وقاه الله هذا الداء، فقد فاز بالدنيا والآخرة. لنا أن نتساءل: لماذا كان الشح خطيراً؟ لأنّ الشح يجمع كل الشرور. قال رسول الله ﷺ فيما رواه مسلم: ((اتقوا الشح؛ فإنّ الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم))، تأملوا! لم يقل: حملهم على البخل فقط، بل جرّهم إلى سفك الدماء، وقطع الأرحام، وأكل أموال الناس، والظلم، والرشوة، والخيانة، والاحتكار، والغش، وسائر الجرائم. ذلك أنّ الشح لا يرى إلا نفسه، ولا يبالي بحلال ولا حرام إذا تعلّق الأمر بجمع المال. ولهذا كان بعض السلف يقول: (ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من بخيل؛ مالٌ مجموع، وهمٌّ دائم، وحسابٌ طويل)، قال تعالى في سورة آل عمران: { وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ }، فما أشدّ هذا الوعيد! المال الذي بخل به صاحبه سيكون طوقاً من نار في عنقه يوم القيامة. وثبت في الصحيحين أنّ النبي ﷺ قال في مانع الزكاة إنّ ماله يمثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع، فيأخذ بلهزمته ويقول: ((أنا مالك، أنا كنزك))، أيها المسلمون. إنّ الدنيا قصيرة، والأعمار محدودة، والقبور تنادينا كل يوم، وما من ميتٍ ندم على صدقةٍ أخرجها، وإنما الندم على مال أمسكه فلم ينفعه. قال تعالى في سورة المنافقون: { وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ }، فيا عبد الله، لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، ولا تقل: إذا كثرت أموالي تصدّقت، فإنّ البركة في

المبادرة، والسعيد من اغتنم صحته وغناه قبل أن يحال بينه وبينهما. أيها المسلمون. إن من أعظم ما يُبتلى به الإنسان أن يتعلّق قلبه بالمال، حتى يظن أنّ السعادة في كثرة الجمع، وأنّ الأمن في كثرة الاتّخار، وأنّ العزة في كثرة الممتلكات، وينسى قول الله جل وعلا: {الْهَيْكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}، إنها آيات تهز القلوب، وتوقظ الغافلين، وتبيّن أنّ الناس ينشغلون بجمع الأموال، والتفاخر بالمناصب، والتكاثر بالدنيا، حتى يأتيهم الموت بغتة، فينقطع الأمل، ويبدأ الحساب. لو نطق المال لقال لصاحبه: اجعلني أمامك ولا تجعلني خلفك؛ فإن جعلتني أمامك قدتك إلى الجنة، وإن جعلتني خلفك سقتك إلى النار. فكم من مالٍ رفع صاحبه إلى أعلى درجات الجنان، لأنه جعله في وجوه الخير والبر والإحسان! وكم من مالٍ أورد صاحبه موارد الهلاك، لأنه أمسكه عن حق الله، أو اكتسبه من حرام، أو أنفقه في معصية. عباد الله. المال لا يصحب صاحبه إلى قبره، وكم من غنيٍّ ملأ الدنيا أموالاً، فلمّا حضرته الوفاة، لم يستطع أن يحمل معه ديناراً واحداً، ولا درهماً واحداً. وصدق رسول الله ﷺ إذ قال في المتفق عليه: ((يتبع الميت ثلاثة: أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان، ويبقى واحد؛ يرجع أهله وماله، ويبقى عمله))، فالمال يرجع، والأولاد يرجعون، والأصحاب يرجعون، ويبقى العمل وحده في القبر. فيا عبد الله. أيّ مالٍ تريد أن يبقى معك؟ مالٌ في خزائن الدنيا؟ أم مالٌ ادّخرته عند الله؟ قال تعالى في سورة البقرة: {وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ}، وقال سبحانه في سورة النحل: {وَمَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ}، ومن أقوال العلماء في السخاء والشح: قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: (صلاح آخر هذه الأمة بما صلح به أولها)، ومن أعظم ما صلح به أول هذه الأمة: الإيثار، والإنفاق، والتعاون، وبذل المعروف، وإغاثة المحتاج، وإكرام الضيف، وصلة الرحم. وقال الإمام ابن عبد البر المالكي رحمه الله: (اجتمعت كلمة العلماء على أنّ الجود من أشرف أخلاق المؤمنين، وأنّ البخل من أقبح خصالهم)، وقال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: (البخل ثمرة حب الدنيا، والسخاء ثمرة اليقين بوعد الله)، وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله: (لأن أردّ درهماً من شبهة أحبّ إليّ من أن أتصدّق بمائة ألف.)، وفي هذا تنبيه إلى أنّ الإنفاق المقبول هو ما كان

من مالٍ طيّب، فإنّ الله تعالى طيّب لا يقبل إلا طيّبًا. أيها المسلمون. يا أصحاب الأموال، أيها الأغنياء، هذه رسالة محبة ونُصْح: إنّ الله لم يرزقكم الأموال لتتباهاوا بها، وإنما رزقكم إياها لتكونوا أبوابًا للخير، ومفاتيح للإحسان. ففي أحيائنا فقراء يتعقّفون. وفي مجتمعاتنا أرامل لا يسألن الناس إلحافًا. وفي بيوت المسلمين أيتام ينتظرون من يمسح رؤوسهم. وفي شباب الأمة طلاب علم ضاقت بهم السبل. وفي مرضى المسلمين من أثقلتهم تكاليف العلاج. وفي مساجدنا ومدارس القرآن ومجالس العلم مشاريع تحتاج إلى من ينفق عليها. فهنيئًا لمن جعل ماله جسرًا يعبر به إلى رضوان الله. أيها المسلمون. يا من ضاقت ذات يده، يا أيها الفقير، فلا تظنّ أنّ أبواب الصدقة مغلقة دونك، فقد قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه: ((اتقوا النار ولو بشق تمرّة))، وقال ﷺ فيما رواه مسلم: ((لا تحقرن من المعروف شيئًا))، وقد تكون الكلمة الطيبة صدقة، والابتسامة صدقة، وإمالة الأذى عن الطريق صدقة، وإعانة الكبير صدقة، وتعليم الجاهل صدقة، وإرشاد الضال صدقة. فلا يحرم أحد نفسه من أبواب الخير. أيها المسلمون. قفوا مع أنفسكم وقفة صدق. سلوا أنفسكم: كم أنفقنا في سبيل الله؟ وكم أنفقنا في شهواتنا؟ كم أعطينا للفقراء؟ وكم صرفنا في الكماليات؟ كم بنينا لآخرتنا؟ وكم عمرنا لدنيانا؟ إنّ العمر يمضي، والمال يفنى، والصحة تزول، والشباب يرحل، ولا يبقى إلا ما كان لله. فطوبى لمن عرف قيمة الدنيا قبل أن يخرج منها، وطوبى لمن جعل ماله في ميزان حسناته، وويل لمن أمسكه حتى فارق الدنيا، فصار المال لورثته، والحساب عليه وحده. فإنّ الدنيا مراحل، وآخرها القبور، وإن السعيد من تزود قبل الرحيل، والشقي من ندم حين لا ينفع الندم. فبادروا بالإنفاق قبل الفقر، وبادروا بالصدقة قبل المرض، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل حضور الأجل. واسمعوا إلى نداء ربكم كما في سورة الحديد: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}، ألا فاستجيبوا لربكم، وأكرموا من أكرمكم، وأنفقوا مما رزقكم، واسعوا في قضاء حوائج إخوانكم؛ فإن الكريم محبوب عند الله وعند خلقه، وإن البخيل ممقوت عند الله وعند عباده، وإن المال يفنى، والعمل يبقى، والله لا يضيع أجر المحسنين. اللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف

والغنى، ونسألك قلوباً سليمة، وألسنة صادقة، وأعمالاً متقبلة، وأرزاقاً واسعة حلالاً طيبة. اللهم اجعلنا من عبادك الكرماء، ولا تجعلنا من البخلاء الأشحاء، اللهم طهر قلوبنا من الشح، وزكّ نفوسنا من البخل، وارزقنا الجود والسخاء، وحسن الظن بك، والثقة بوعدك، والإنفاق ابتغاء مرضاتك. اللهم ارزقنا الإنفاق في السراء والضراء، وفي الصحة والمرض، وفي الغنى والفقر، واجعل ما أنفقت أيدينا ذخراً لنا يوم نلقاك. اللهم بارك للمنفقين في أموالهم، وبارك لهم في أعمارهم وأهليهم وأولادهم، واخلف عليهم بخير مما أنفقوا، وافتح لهم من خزائن فضلك ورحمتك ما لا يخطر لهم على بال. اللهم أغن فقراء المسلمين، واقض الدين عن المدينين، ونقّس كرب المكروبين، واشف مرضانا ومرضى المسلمين، وارحم موتانا وموتى المسلمين. اللهم وقّ ولاية أمور المسلمين لما تحب وترضى، وأصلح أحوال بلادنا الجزائر، واحفظها من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأدم عليها نعمة الأمن والإيمان، والاستقرار والرخاء. اللهم انصر إخواننا المستضعفين في كل مكان، اللهم كن لهم ناصراً ومعيناً، وحافظاً ومؤيداً، وارفع عنهم الظلم والبلاء، وأطعم جائعهم، واشف مريضهم، وارحم شهيدهم، وفك أسر أسيرهم. اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، واجعل الجنة هي دارنا وقرارنا. اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك، وأحسن وقوفنا بين يديك، واجعل آخر كلامنا من الدنيا الفانية شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ سيّدنا محمداً رسول الله ﷺ، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ